الحضارة والمدنية

(Culture and Civilization)

بقلم : احسان محمد الحسن

محاضر في علم الاجتماع والمجتمع العربي بجامعة بغداد

خلاصة بحث الحضارة والمدنية

يتعلق هذا البحث بتعريف معنى الحضارة والمدنية كلّ على انفراد ثم يحاول دراسة العلاقة بينهما على ضوء الدراسات الاجتماعية والفكرية التي اجريت حول الموضوع . كذلك يتضمن البحث علاقة الحضارة بالمجتمع وعلاقتها بالمدنية اخيرا يوضح التطور التاريخي للحضارة والمدنية العربية الاسلامية عبر تاريخها الطويل والهبات الفكرية والمادية التي قدمتها للانسانية جمعاء .

اهتم علماء الاجتماع كثيرا بقضايا وامور تتعلق بالتعاريف العلمية للمصطلحات الفنية التي استعملوها في بناء وتركيب نظرياتهم الاجتماعية ، وكان اهتمامهم بهذا الموضوع عميقا الى درجة انهم صرفوا معظم اوقاتهم بالجدل حول معنى المصطلحات ولم يتيسر الوقت الكافي لدراسة الحقائق والظواهر الاجتماعية. علم الاجتماع كبقية العلوم الطبيعية والاجتماعية اخذ باستعمال مجموعة من المصطلحات الفنية التي اشتقها من طبيعة اللغة والكلام الذى يستعمله ابناء المجتمع في حياتهم اليومية ومن العلوم المختلفة التي عرفها الانسان كعلم الاحياء وعلم الفيزياء وعلم النفس ، ومن اشهر هذه المصطلحات التوازن الاجتماعي ، الكائن

الاجتماعي ، العقل الاجتماعي ، الوظيفة والتركيب الاجتماعي ...الخ ، بيد ان علماء الاجتماع لم يتفقوا على المعاني والمقاصد والمفاهيم التي ذكروها بشـــأن مصطلحات موضوعهم ، لذا فانها سببت لهم مشاكل نظرية كثيرة اعاقت تقـدم وتطور علم الاجتماع .

يهتم هذا البحث بتعريف ودراسة بعض هذه المصطلحات التي لها الاهمية الكبرى في توضيح السمات والركائز الحضارية والمادية التي يستند عليها المجتمع الانساني المعاصر وهذه المصطلحات هي مصطلح «الحضارة» ومصطلح «المدنيـة» التي لا يمكن فصلها عن مصطلح «المجتمع» اذ ان جميع هذه المصطلحات تفسر الترابط المنطقي بين الحضارة والمجتمع من جهة وبين المدنية والمجتمع من جهة ثانية حيث ان لكل مجتمع حضارة ومدنية تتميز بطابع معين . في هـذا البحث سنشير بشيء من الاختصار الى معنى المجتمع ثم ندخل في دراسة تفصيلية حـول معنى الحضارة والمدنية والفروق الموضوعية الموجودة بينهما بعدهـا سنوضح الحقائق الجوهرية التي تميزت بها الحضارة والمدنية العربية الاسلاميـة عبر تاريخها الطويل مركزين على الهبات الاخلاقية والثقافية والعلمية والمادية التي قدمتها للانسانية جمعاء .

عرف المجتمع بانه جميع العلاقات بين الافراد وهم في حالة تفاعل مـع منظمات وجمعيات لها احكام واسس معينة . لكن المجتمع يشمل على جميـع الجماعات والمنظمات التي لها بنيات تنظيمية يمكن دراستها دراسة موضوعيـة تقع ضمن اختصاص المنهج العلمي الذي يسير عليـه العالم الاجتمـاعي[1] .

فالعلاقات الانسانية التي تربط الافراد لابد ان تحدد بطبيعة المؤسسـات الاجتماعية الموجودة في المجتمع وهذه المؤسسات هي اساس نشوء المنظمات التي ينتمي اليها الافراد . يمكننا اذا استعمال كلمة مجتمع لتعني الشبكة المعقدة مـن العلاقات الاجتماعية التي قام الانسان بتنظيمها ورسم معالمها . وهناك تعـاريف اخرى لكلمة مجتمع تختلف تمام الاختلاف عن التعريف السابق ، فقـد عرف

المجتمع بانه مجموعة من الافراد تكون في حالة اتصال دائم ولها اهداف ومصالح مشتركة متبادلة[٢] . وبالاتصال الدائم نعني جميع التفاعلات والروابط التي تجمع بين الافراد مهما تكن هذه الروابط مباشرة او غير مباشرة شعورية او لا شعورية تعاونية او عدائية .

والمجتمع يتكون من مجموعة جماعات اجتماعية تكون في حالة اتصال وتفاعل الواحدة بالاخرى ، والجماعة هي مجموعة من الافراد تكون في حالة اتصال وتداخل دائم ولها تركيب اجتماعي معلوم . ويتكون المجتمع ايضا من شبه الجماعات Quasi - Groups التي هي تكتل جماهيرى يسعى لتحقيق اهداف معينة كالطبقات الاجتماعية التي تتكون من افراد يتميزون بسلوك وعلاقات اجتماعية معينة او جماعة ارباب العمل قبل تكوينها منظمة او جمعية خاصة بها للدفاع عن حقوقها او الجماعة التي تهتم بمزاولة العاب وفعاليات رياضية معينة ولكن لم يتيسر الوقت الكافي لها بتشكيل منظمتها . فالجماعات يمكن تصنيفها الى أنواع عديدة تبعا لمقاييس معينة كالحجم مثلا او التوزيع الجغرافي او الحرفة او الدخل[٣] . كما تختلف شبه الجماعات الواحدة عن الاخرى بالنسبة للحجم او الاستمرارية او الرغبة في تشكيل منظمات وجمعيات خاصة بها لكي تتحول الى جماعات صرفة .

اذا نستطيع تلخيص ما ذكر اعلاه حول معنى كلمة مجتمع بالقول ان المجتمع يتكون من مجموعة من الافراد عاشوا معا فترة طويلة من الزمن تسمح بنشأة قواعد تنظم علاقاتهم الاجتماعية وتسمح ايضا بظهور شعور اجتماعي يجمع هؤلاء الافراد في وحدة اجتماعية تتميز عن غيرها ، ويجب ان تتوفر في المجتمع الانساني الشروط التالية : افراد يعيشون معا فترة طويلة ، مساحة معينة من الارض يقيمون عليها ، نظم تحدد علاقاتهم الاجتماعية وشعور جماعي بوحدتهم واهدافهم المشتركة .

بعد تعريف معنى المجتمع علينا الذهاب الى تعريف معنى الحضارة (Culture) ومعنى المدنية (Civilization)

هناك ارتباكا واضح المعالم في استعمال هذين المصطلحين ومن المؤسف حقا ان

المواطن الاعتيادي او حتى المثقف لا يستطيع التمييز بين الحضارة والمدنية فهو دائما يخطأ في استعمالاتها ويعتقد بان هناك نوعا من الترادف في استعمال مصطلح الحضارة والمدنية • ولكننا في هذا البحث سوف نحاول رسم الخط الفاصل بين الحضارة والمدنية ليكون القارىء الكريم على بينة من الفروق الموضوعية بينهما • يعتقد علماء الانثرويولوجي الاجتماعي بان الحضارة تشمل جميع ميادين الحياة الانسانية حيث يقول العالم الانثربولوجي تايلر (Tylor) بان الحضارة هي ذلك الكل المقد الذى يشمل المعرفة ، المعتقدات ، الفنون ، الاخلاق والقوانين والعادات التى اكتسبها الانسان من مجتمعه • اما المدنية فهي •

مجموعة الانجزات التي تميز طابع الحياة في المدينة المنظمة أو الدولة ولكن الاصطلاح تشعب واخذ يشمل جميع الانجازات التي تميز الانسان عن الحيوان اى ان جميع المبتكرات التي اهتدى اليها الانسان منذ مئات الالوف من السنين هي المدنية •

ان الحضارة والمدنية تميز جميع المجتمعات الانسانية ، فحتى المجتمعات البدائية البسيطة فيها نوع من الحضارة والمدنية ومثل هذه الحضارة والمدنية تعمل على رسم طبيعة اطارها الحياتي وتحدد معالمها الاجتماعية • وعندما تقوم شعوب المجتمعات البدائية بتغير معالم البيئة وتستغل المياه والتربة واشعة الشمس في الاغراض الزراعية او تمارس طقوسها الدينية وعادتها الاجتماعية فانها تكون قد تأثرت واثرت على طابع الحضارة والمدنية في ان واحد •

لكنه يجب علينا في هذه المرحلة التميز بين الحضارة والمدنية والتميز بينهما يجب ان يستند على اسس كثيرة فمثلا « يؤكد بروفسور الفلسفة الالماني كانت (Kant) بان فكرة الاخلاقية يجب ان تعود الى الحضارة وبالاخلاقية يعني (Kant) الحالة الداخلية والجوهرية للانسان • بينما حالة الانسان الخارجية كمظهره الخارجي او الادوات التى يستعملها في حياته اليومية هي اشياء تعود الى المدنية ، ومنذ زمن كانت ظهر عدد كبير من الفلاسفة والمفكرين اهتم معظمهم بدراسة الفروق بين الحضارة والمدنية ، فالبروفسور ماثيو أرنولد (Mathew Arnold) يعرف الحضارة بانها دراسة الكمال والبحث عن الجمال

والضياء ، فهي حالة داخلية للعقل والروح لايمكن ان تنعكس في الظروف الخارجية المحيطة بالانسان • اما المدنية فيعرفها البروفسور أرنولد بانها شيء ميكانيكي خارجي في طريقة للزيادة المستمرة •

اما البوفسور شبنجلر (Spengler) في فلسفته للتاريخ فيقول بان المدنية هي مرحلة تفسخ الحضارة تلك المرحلة التي تفقد فيها الحضارة حيويتها الخلاقة ومن ثم تتحول الى شي ميكانكي جامد • يفسر البروفسور مكايفر الفروق بين الحضارة والمدنيـــة بنفس الصورة التي يفسر بها الفروق بين الواسطة والغايـة فيقول بان حضارتنا هي اصل ذاتيتنا بينما مدنيتنا هي ما نقوم باستعماله من الادوات والالات (٥) • فالمدنية حسب راى البروفسور مكايفر هي مجموعة الاجهـزة والادوات التي يستعملها الانسان في السيطرة على بيئته الطبيعية ومن ضمنها جهاز التنظيم الاجتماعي • بينما الحضارة تهتم بالقيم الجوهرية الاساسية التي يتبعها الانسان في حياته الاجتماعية ، فهي تنعكس في طبيعة اسلوب حياتنا وتفكيرنـا وعلاقتنا الاجتماعية وتتجلى في الفنون والاداب والاديان وفي التسلية والترفيه (٦). ان الفروق التي رسمها البروفسور مكايفر بين الحضارة والمدنية تشبه الفروق التي ذكرها الدكتور الفريد فيبر (Alfred Weber) عندما ميز بين الحضارة والمدنية • يقول الدكتور فيبر من الضروري التميز بين ثلاثة عمليات وهـي عملية المجتمع ، وعملية المدنية ، وعملية الحضارة • فالعملية الاجتماعية لها نتائج تنعكس في انتاج انواع البنيات الاجتماعية التى لها اصل واحـد وطريقـة واحدة في التغير من شكل لاخر • فالعائلة مثلا « تتحول في جميع المجتمعات العالمية من عائلة ممتدة الى عائلة نوويـة • بعملية المدنية يعنى الدكتور فيبر نمو فروع المعرفـة وتقدم سبل السيطرة الفنية على القوى الطبيعية ذلك التقدم المتماسك الذى له نظام منتظم ينتقل من شعب لاخر • اما عملية الحضارة فانها لا تسير في خط واضح المعالم كما تسير عملية المجتمع وعملية المدنية • فالحضارة لا يمكن ان تفهم الا اذا درست دراسة تاريخية تلك الدراسة التي تقتضى أقتفاءتطور اجزائهاوعلاقتها الواحدة بالاخرى •

ان دراسة مثل هذه الفروق بين الحضارة والمدنية لها فائدة كبيرة ولكن الفائدة لا تكون تامة الا اذا ركزنا على دراسة اهمية هذه الفروق للبحوث والفحوص الاجتماعية .

اولا يجب ان نميز بين الواسطة والغاية او بين ما هو جوهرى وما هو ميكانيكي حيث ان الحضارة تهتم بدراسة جوهرية الاشياء بينما المدنية كما وضحنا اعلاه تهتم بدراسة ميكنيكية وموضوعية الاشياء . بيد ان هناك نشاطات اجتماعية كثيرة تقع ضمن حدود جوهرية وميكانكية الاشياء ، فالعلماء مثلا يهتمون بالعلم لا لغرض السيطرة على شؤون ومتطلبات الحياة فحسب بل لغرض الاهتمام بكشف الحقائق ودراسة العلاقات بينهما والتنقيب عن ظواهرها وكذلك في حالة المؤسسات الاجتماعية فانه يصعب علينا رسم الخط الفاصل بين الواسطة والغاية، فلا نستطيع قياس فعاليات العائلة بالنسبة لتحديد ما يتعلق بالواسطة وما يتعلق بالغاية .

اما بالنسبة للنظام الاجتماعي واستمرار تقدمه فهناك ثمة فروق مهمة بين نمو المعرفة والتكنيك الحديث من جهة الانجازات التى توصل اليها العقل الاجتماعي من جهة ثانية . تزداد وتتراكم المعرفة بمرور الزمن ، فكل جيل من الاجيال يستلم حضارة ومدنية الجيل السابق تم يضيف اليها اشياء كثيرة فيطورها وينميها في مجالات وضروب كثيرة .

ان جميع مجالات وحقول الحياة قابلة للتقدم والتطور فحتى الدين يمر في فترات زمنية متعاقبة يرتفع فيها شأنه او ينخفض تبعا «للاهتمام الذى يعطيه أبناء المجتمع له . فالحركة الدينية قد تضمر وتفتر ولكن سرعان ما تتجدد وتقوى وخلال هذه العمليات يحصل الدين على قوة وهيبة لم تكن معروفة في الزمن السابق (٧) .

عندما نتكلم عن انتشار وانتقال العناصر الحضارية من مجتمع لاخر يجب علينا دراسة كل عنصر حضارى على انفراد وذلك للاختلاف بين عناصر الحضارة من حيث انتقالها وانتشارها . فنتاج الاختراعات التكنولوجية ينتقل من شعب لأخر

خلال فترة زمنية قصيرة وبسهولة منقطعة النظير كانتقال الطائرة او السيارة او التلفزيون من مجتمع لاخر عن طريق الاستيراد او التقليد ولكن المعرفة او العلم الذى يسند هذه النتاجات التكنولوجية او القابلية على تطوير الاختراعات التكنولوجية لا يمكن ان تنتقل بسهولة من شعب لاخر دون احداث تغيير جذرى في طبيعة الحياة الاجتماعية والاخلاقية في المجتمع • كذلك لا يمكن نقل نظم السياسية من مجتمع لأخر بسهولة كنقل النظم الديمقراطية الى بيئات نامية وحديثه تستطيع تقبل مثل هذه النظم ؛ وفي حالة ادخالها في مثل هذه المجتمعات ، فانها لا بد ان تفشل او تتحور للتكيف مع بيئه وظروف المجتمعات التي طبقت عليها • اذا يصح القول بانه كلما تقدمنا نحو جوانب الحياة الخارجية اى الحياة المادية كلما استطعنا نقل او استعارة هذه الجوانب بحيث تصبح ملائمة لمجتمعات انسانية كثيرة • لابد من الاشارة هنا بان مجتمعات العالم اخذت في الاونة الاخيرة تتشابه الواحدة مع الاخرى في مضمار معالم الحياة المادية والتكنولوجية ولكنها لازالت تختلف عن بعضها البعض في المواقف والقيم الاجتماعية والاخلاقية • ان مثل هذا الاختلال في التوازن الاجتماعي الذى يتجلى في حقيقة تقدم الحياة المادية اشواطا كبيرة على تقدم الحياة الروحانية والاخلاقية اصبح اكثر وضوحا بعد استقلال مجتمعات العالم بعضها عن البعض الاخر وهذا بدون شك سبب لها مشاكل اساسية خطيرة •

من الواضح بان الفروق التى بحثناها في هذا البحث بين الحضارة والمدنية لها أهمية في تحديد معنى هذين الاصطلاحين وفي أزالة الشك الذى كان يساور المواطن او المثقف في استعمال مثل هذه الاصطلاحات اثناء كلامه او كتابته • لكنه يجب الاضافة باننا لابد ان نعتقد بان المجتمع هو كائن معقد يتكون من عناصر ومجالات مختلفة تسير باتجاه واحد نحو التحول والتقدم بعد ان تكون معتمدة في تركيبها وطبيعتها الواحدة عن الاخرى • وهذا لايعني بان عنصر اجتماعي واحد يمكن ان يعتبر العنصر الاساس في تغير بقية العناصر ، فالعامل الاقتصادى مثلا لا يمكن ان يكون العامل الرئيسى الذى تستند عليه بقية العوامل الاخرى • ان المشكلة التى تجابه العالم الاجتماعي في الوقت الحاضر هو تشخيص العنصر او العامل الذى يلعب دورا مهما في تغير معالم المجتمع ودراسة العلاقة

بين العناصر التركيبية التي يتكون منها المجتمع [٨] . ربما نتساءل مثلا هل ان الفروق في السلوك الاجتماعي تتناسب مع التغيرات في الآراء الاخلاقية او هل ان لاراء الاخلاقية حافظت على طبيعتها وشكليتها خلال فترة التطور الاجتماعي ، ام إن العوامل الاجتماعية والاقتصادية كانت العوامل الأساسية التي غيرت البنية الأجتماعية . او قد نتساءل عن العلاقة بين التقدم الاخلاقي والدين من جهة والتقاليد والقانون من جهة أخرى . ومن خلال النظام الاجتماعي ربما نسأل هل ان هناك علاقة بين أشكال العائلة واشكال التركيب الطبقي . ان جميع هذه التساؤلات تشكل تحدي لعلم الاجتماع والعالم الاجتماعي من خلال دراسته وبحوثه يجب ان يحضر نفسه للاجابة عليها بصورة علمية وموضوعية .

اخيرا يجب علينا توضيح الخصائص الجوهرية التي تميزت بها الحضارة والمدنية العربية الاسلامية عبر تاريخها الطويل هذه الخصائص التي تعكس للقارىء الهبات الاخلاقية والعلمية والمادية والثقافية التي قدمتها الحضارة والمدنية العربية الاسلامية للانسانية جمعاء . الحضارة العربية هي طريقة الحياة التي تميز المجتمع العربي عن غيره من المجتمعات وفيما يلي اهم الخصائص التي تميز الحضارة العربية عن غيرها من الحضارات الاجنبية . ان اللغة العربية تعتبر من اهم المميزات التي تميز الحضارة العربية عن غيرها من الحضارات العالمية ، فعن طريق اللغة يتم التفاهم ويستطع الانسان العربي التعبير عن ارائه وافكاره واللغة هي التي تجعل وجود الحضارة وتناقلها من فرد لاخر ومن جيل لاخر امرا ممكن الحدوث . وعن طريق اللغة استطاع الانسان العربي تسجيل حضارته حتى يستطيع تطويرها في صالحه . واللغة بحكم كونها أداة التفاهم والتعبير فانها من اهم عوامل الترابط والتماسك بين افراد المجتمع . وان كان لكل امة ما يميزها عن غيرها ، فان الامة العربية تتصف بالبلاغة والفصاحة وقوة البيان . ولذلك امتازت اللغة العربية بقوة تأثيرها وعلو حجتها . ان اللغة غنية بمفرداتها ثمينة بما أحتوته من العلوم والفنون والاداب . ومن السهل ملاحظة التطابق بين الامة العربية واللغة العربية اذ ان جميع البلاد التي يتكلم سكانها باللغة العربية هي عربية مهما اختلفت حكوماتها وقامت بينها الحدود وان كل من ينتسب الى البلاد العربية ويتكلم باللغة العربية فهو عربي [٩] .

اما المميزة الثانية للحضارة العربية فهي الدين الاسلامي ، ان معظم العرب يدينون بالاسلام الذى ارتبط باللغة العربية ، وقد لعب الاسلام دورا كبيرا في نشر الحضارة العربية و في تحديد معالمها حتى انه لا يمكن فهم عناصر الحضارة العربية من اجتماعية وفكرية ومادية الا بالرجوع الى القرآن الكريم ، واوضح الامثلة على ذلك الاسرة العربية والبناء الاجتماعي للمجتمع العربي ونظم الوراثة والوصايا • ويذهب كثير من العلماء الى ان الحضارة العربية تبدأ بالاسلام ويدعون ان العرب قبل الاسلام لم تكن لهم أية حضارة او ثقافة وان الاسلام هو الذى اعطى للعرب ثقافتهم وحضارتهم • والواقع ان في هذا الرأى تجنيا على العرب وعلى الاسلام • فالاسلام قد اخذ من العرب كما اعطاهم اذ اخذ منهم لغتهم التي شرفها اذ جعل منها لغة القرآن او التنزيل كما اخذ منهم بعض الاماكن التي قدسها كالكعبة وعرفات وغيرهما من الاماكن التي جعلها من اركان الحج كذلك أخذ منهم العادات والنظم التي هذبها واصلحها وجعلها جزءا لا يتجزأ من تشريعه الاسلامي • واخذ منهم خطهم العربي الذى اتخذوه خطا يدون به في التنزيل • فالدين الاسلامي لم يبدأ من لاشيء ، بل كان عند العرب حضارة خلصها من كثير مما علق بها من عادات وتقاليد فاسدة ، واضاف اليها عناصر جديدة فأكد الوحدة بين العرب وادى الى نشر حضارتهم شرقا وغربا ، اذ قد سمحت المبادىء القومية التي اتى بها في السياسة والحكم والملكية الى تكوين دولة عربية اسلامية تمتد من المحيط وجنوب غربي اوربا الى حدود الهند شرقا • ولقد اتحدت العناصر الحضارية التي سادت العرب في الجاهلية بعد ان هذبها الاسلام مع العناصر الجديدة التي اتى بها في وحدة ثقافية وحضارية واحدة •

اما العادات والتقاليد العربية فهي الميزة الثالثة التي تميز الحضارة العربية ، وتنعكس التقاليد والعادات العربية بالملابس التي تحدد معالم المظهر الخارجي للمواطن العربي وبالعلاقات الاجتماعية مثل احترام الوالدين وكبار السن والنساء والكرم ومساعدة الجار والفقير والمحافظة على الشرف والعرض (١٠) وتظهر العادات والتقاليد العربية في التدين مثل الميل الى التدين واطاعة الله

سبحانه وتعالى •

ولقد برع العرب المسلمون في كل علم وفن ، ففي التاريخ نبغ الطبرى والمسعودى وابن خلدون ، وفي الجغرافية الادريسي وياقوت الحموى وفي الطب ابو بكر الرازى وابن سينا ، اما الكيماويون والصيادلة فنجدهم ممثلين بسابور بن سهيل وجابر بن حيان في القرن الخامس الهجرى ، وفي علم النجوم والفلك نبغ البرقوقي • كما أنشا المراصد الاسلامية وهياة لها الالات في انحاء متفرقة ، ولقد علم العرب الاسبان صناعة الساعات • اما في الجبر والحساب فنبغ فيهما الخوارزمي وابن شاكر ، وفي الفنون الجميلة والموسيقى بزغ نجم ابراهيم الموصلى وابنه اسحق • (١٣)

ونشطت التجارة في الدول العربية ولا سيما في القرن الحادى عشر الميلادى حتى اشترك فيها النساء العربيات وكانت بغداد والاسكندرية تتحكمان في الاسواق العالمية وكان العرب يعبرون البحار والصحارى لنقل السلع من الاماكن التي تكثر فيها الى الاماكن التى تقل فيها • وكان الصرافون والوكلاء يقومون بنفس المهام التى تقوم بها البنوك اليوم • كما كان البريد متفوقا جدا في ذلك العصر وان كانت وظيفة البريد في تلك الايام القديمة اوسع من وظيفتها اليوم ، فكانت تقوم على نقل البريد ثم ما يقوم به رجال المخابرات اليوم • ذلك ان نظام البريد كان يرمي الى سلامة الدولة العربية في الداخل والخارج عن طريق الاستخبارات التى يقوم بها اصحابه ، لذلك كان اصحاب البريد يدخلون على الخلفاء والامراء من غير حجاب ، وتقدم نظام الشرطة الى جانب النظام القضائي الذى حرص عليه الاسلام منذ عصر النبي صلى الله عليه وسلم •

اما عن الصناعة فقد ازدهرت وذلك بفضل تقدم العلوم العربية ، فاستخدم العرب ما اكتشفوه من العلوم وما عرفوه من علوم اليونان والهنود والفرس في تطوير صناعاتهم وفنونهم •

اما المدنية العربية فتنعكس في الاشياء المادية والعلمية والتكنولوجية التى تتوفر عادة في بيئات المدن العربية وتعطى طابعا مميزا للحياة الاجتماعية المصاحبة لنظام المدنية فيالمجتمع العربي • وتتميز الحياة الاجتماعية في المدن بالخصائص التالية:

تركز عدد كبير من السكان في مساحات صغيرة تعرف باسم المدن او الحضر ، درجة مرتفعة من التخصص المهنى مع وجود تخصيص كامل في الحرف غير الزراعية والصناعية ، وجود عناصر سكانية مختلفة ، تقدم فن الزراعة لدرجة وجود فائض من الغلة يكفي اطعام غير الزراع من المدينة ، معرفة القراءة والكتابة ودرجة كبيرة من التقدم في العلوم الرياضية والصناعة • ويقسم علماء الانثروبولوجي حضارات المجتمعات الى حضارات غير متمدنة او شبه بدائية وهي التى تعيش على جمع الطعام والصيد ولا تعرف الزراعة ومجتمعات متمدنة وتلك التي تعرف الزراعة والصناعة ويعيش بعض سكانها في المدن (١١) •

وبالاضافة الى الحقيقة التاريخية ان الحضارة العربية قد وصلت منذ مدة او بالأصح منذ اللحظة الاولى عند ظهورها في قلب الصحراء العربية الى مرحلة المدنية فان المدنية التى هي اهم الظواهر الاجتماعية في العصر الحاضر نشأت لاول مرة في ربوع العالم العربي أبان فترة الحضارة السومرية في العصور القديمة • فاول مدن العالم هي مدن وادى الرافدين واهم تلك المدن اور وبابل وكيش ونينوى وكان يتراوح سكانها ١٢٠٠-٢٤٠٠ نسمة •

لقد كان العلم من الاسس الاولى للمدنية العربية ، فلقد حث القرآن الكريم على التعليم والتعليم في اكثر من موضع : « يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات » وقال الرسول صلى الله عليه وسلم « اطلبو العلم ولو في الصين »وقال «طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة » ان مثل هذه الايات والاحاديث النبوية الشريفة تدفع الناس الى البحث وكشف الحقائق ، لذلك لا عجب ان قامت في الدولة العربية نهضة شاملة في شتى العلوم والفنون والاداب » (١٢) •

اما التخصص الصناعي فكان تخصص مصر في صناعة المنسوجات والورق كما تخصصت بلاد فارس في صناعة البسط والسجاد وتخصصت بلاد سمرقند في انواع اخرى من الورق ، كما تخصصت بلاد اخرى في الكيمياويات والاصباغ ، ولقد استغل العرب حركتي المد والجزر في ادارة الارحية والطواحين مما أدى الى ظهور المطاحن التى تدور بالماء والطواحين الهوائية في العراق ، كما صنعوا الالات الفلك والموازين وكثيرا من الاشياء التى لا يمثل ما قدمنا منها الى امثلة

بسيطة (١٤) ٠

واشتهرت الدولة العربية بالزراعة حتى كفى العالم العربى نفسه فيهافي احيان كثيرة ، فتخصص العراق في زراعة الحنطة وفلسطين ومصر في زراعة الشعير والذرة وسادت الكروم في مصر وبلاد عربية كثيرة ٠ واشتهرت اليمن بزراعة البن والعنب ، وزرعوا التفاح والحمضيات والرمان في الشام واشتهرت زراعة الفواكة والحبوب في مصر وصنع المصريون زيت المصابيح من جذور البنجر هذه هى بعض المعالم المدنية التى تميز بها المجتمع العربى خلال العصور التى ازدهرت فيها المدنية العربية اى خلال القرون الثلاثة العاشر والحادى عشر والثانى عشر الميلادية ٠

المصـــادر

المصادر العربية التى استعملها البحث

(٩) المجتمع العربى تأليف عاطف امين وصفى
(١٠) محاضرات في المجتمع العربى تأليف احسان محمد الحسن
(١٥) الفهرست لابن النديم
(١٦) وفيات الاعيان لابن خلكان
(١١) دراسات تحليلية في المجتمع المعاصر تأليف احسان محمد الحسن .
(١٢) تاريخ التمدن الاسلامى تأليف جرجى زيدان
(١٤) الوجيز في المجتمع العربى تأليف حسن شحاته سعفان

المصادر الانكليزية التى استعملها البحث

(1) T. Parsons and E. Shils, Toward A General Theory of Action , P. 26 Combridge, Mass 1952

(2) M. Ginsberg, Sociology P. 39 . London, 1950.

(3) Gerth and Mills, Character and Social Structure P. 57. New York, 1961 .

(4) G. D. Mitchell, A Dictionary of Sociology P. 47. London, 1973

((5) R.Maclver, The Modern State, P. 325 New York, 1949

(6) R. Maclver. Society : Structure and Changes, P. 226. New York, 1948 .

(7) Whitehead . Science and The Modern World. P. 268. London 1957

(8) K. Davis, Society, P.622. New York, 1967 .